(١)

• في البداية سألت الدكتور محمد سليم العوّا عن القضية الإسلامية التي يرى أنها الآن أكثر إلحاحًا على الضمير المسلم بحيث يجب أن تطرح للمناقشة والرأي والحوار؟

قال الدكتور العوّا: أعتقد أن أهم قضية تلح على العقل الإسلامي وعلى الضمير المسلم معًا هي قضية العيش في العصر. فكثير من المسلمين المشتغلين بالهمِّ الإسلامي، والمنشغلين به، والذين يعملون من أجل ما نسميه اصطلاحًا بالصحوة الإسلامية، يعيشون خارج العصر. إنهم يهتمون بقضايا قديمة لا يمكن حسمها؛ لأنها مترتبة على اختلاف العقول والأفهام. وما كان مترتبًا على اختلاف العقول والأفهام فإن الخلاف فيه مفتوح إلى يوم القيامة، إذ لا يمكن أن يتوقف الناس أو يكفوا عن الاختلاف حوله، وإلا أصبحت العقول كلها عقلا واحدًا، وهذا محال بأصل الخلقة. ولكي يعيش المسلمون داخل العصر يجب أن ينشغلوا أولاً بقضاياه. وقضايا هذا العصر ليست قضايا فقهية، ولا قضايا عقدية، ولا قضايا تاريخية.

إن الفقه، والعقيدة، والتاريخ أمور في غاية الأهمية، فليس هناك إنسان بلا عقيدة، وليس ثمة إنسان بلا تاريخ، كما أن المسلم لا يستطيع

أن يعيش بغير فقه. لكن هذه الأشياء كلها ليست هي مقومات الحياة، بل هي من شروط كمالها، وشروط استمرارها، وشروط جمالها.

إن مقومات الحياة هي إسهاماتنا في حل المشاكل التي تواجهها الدنيا وليس الأمة وحدها. فالأمة الإسلامية لا يمكن أن تنعزل عن الدنيا، فتعيش ـ مثلاً ـ مشكلة ختان الأنثى، أو تعيش مشكلة النقاب والحجاب، أو مشكلة اللحية والجلباب، أو مشكلة الثوب الشرقي والزي الأفرنجي. لا يمكن أن نغلق على أنفسنا أبواب الدنيا لنعيش فقط مشكلة جواز الاعتكاف أو عدم جوازه، أو مشكلة الصوم مع الجماعة إذا رؤي الهلال في بلد إسلامي ما، أو الأخذ بتعدد مطالع الأهلة على أن يأخذ كل بلد بالرؤية كما يزيد، فهذا بلد إسلامي يأخذ بولادة الهلال وثبوتها فلكيًا، وهذا بلد آخر يأخذ برؤية البصر المجردة.

هذه مشاكل كثيرة يعيشها المسلمون ويتفرقون حولها، وينشغلون بها، ويكتبون عنها في الصحف والمجلات، ويطرحونها في المساجد.. ورغم ذلك فهذه المشاكل كلها خارج العصر.

• فما هي المشكلة الحقيقية التي تواجه المسلمين الآن، ويجب أن ينشغلوا بها ليكونوا في قلب العصر؟

هي مشكلة كبرى رغم أنه يمكن اختصارها في جملة أو حتى في كلمة. إنها مشكلة الهيمنة، أو السيطرة؛ فالغرب وقد بلغ من القوة ذروتها، ومن الغنى والثراء مدى لم يكن يحلم به أحد، يريد الآن أن يملك الدنيا وما عليها في قبضة يده. هذا الغرب يتمثل أولاً في الولايات

المتحدة الأمريكية، ويتمثل ثانيًا في أوروبا، ويتمثل ثالثًا في النظم الصاعدة في جنوب شرق آسيا وعلى رأسها الصين واليابان. وهذه النظم التي يسمى بعضها الآن بالنمور الآسيوية تسير على النمط الغربي، فهي تأخذ به في كل شيء، ولهذا فسوف تصبح بعد فترة قليلة غربًا هي الأخرى. فإذا كان الناس يعرفون الغرب الآن بمفهومه الجغرافي، فإنهم بعد سنوات قليلة سوف يجدون هذا الغرب قادمًا من الشرق بشكل عام[1]، ومن جنوب هذا الشرق الآسيوي على نحو خاص. ومعنى هذا أن النمط الحضاري الغربي أصبح على نحو أو آخر هو النمط السائد. نعم، لقد بلغت الحضارة الغربية الآن ذروتها اقتصاديًا وعسكريًا وسياسيًا وفكريًا، وفي الجملة فهي قد بلغت ذروة حضارية لم تتحقق للإنسان من قبل على هذا الكوكب.

وفي غمرة الزهو ببلوغ هذه الذروة، فإن الحضارة الغربية تريد أن تسيطر على الدنيا بما عليها من مقدرات وبشر؛ فلا يبقى على الأرض إلا النسق الحضاري الغربي، ولا يصبح هناك نظام أو جماعة يمكن لها أن تعيش إلا إذا كانت تدور في فلك هذه الحضارة الغربية، بحيث يقضى على جميع الحضارات الأخرى: إما بالموت جوعًا، أو بالحصار والإبعاد والتخلف جميعًا. والمعنى هو أنه لابد أن تنقلب عقول أبناء هذه الحضارات وقلوبهم إلى عقول وقلوب غربية.

(١) المقصود هنا الثقافة المغايرة التي يتعامل معها الناس في بلادنا تعامل المهزوم مع المنتصر، فيقلدونها في خيرها وشرها، ويأخذون منها في الغالب مظهرها دون جوهرها.

هذه هي المشكلة الحقيقية التي يواجهها الإسلام والمسلمون، ويواجهها معهم الإسلاميون وغير الإسلاميين من أبناء العالم العربي، والعالم الثالث، والشرق بعامة.

• هل المستهدف هنا هو الإسلام، بقيمه وحضاراته، أم هو الشرق الذي يقف نقيضًا تاريخيًا للغرب؟

ليس الإسلام فقط هو المستهدف، بل هو قيم العالم الثالث كلها. فقد شاءت المقادير أن يكون هذا العالم الثالث هو العالم المؤمن بالله على دين محمد ﷺ، وعلى دين المسيح عليه السلام. وأن يكون المخالف لأوروبا الغربية والولايات المتحدة؛ وهذا العالم هو الذي يُقَدِّم قيمه الروحية على القيم المادية، فهو يعتبرها أهم وأقوى وأجدر بأن تصبح هي جوهر حياة الإنسان. إن هذا العالم الثالث يُعلي من شأن توجهه العاطفي والفكري والعقلي بحيث يتقدم في سلّم أولوياته على مستواه الصناعي والزراعي والتجاري. فالرجل أو المرأة ينام فيه قرير العين تحت شجرة في الحقل لأنه صلى ركعتين، أو رفع يديه داعيًا ومبتهلاً إلى الله. إنه لا يفكر فيما يملكه، أو فيما سيأتيه غدًا من مال، أو ما سيفقده بعد غد من متاع الدنيا. هذا النوع من الطمأنينة العقلية والقلبية في العالم الثالث هو المستهدف. وهذه الطمأنينة التي ترضيني لا تجعلني ذيلاً للغرب، ولا تابعًا للفكر الأوروبي، ولا تجبرني على أن أصوب بصري دائمًا إلى ما يقولون أو يفعلون لأقول وأفعل مثلهم.

إن المستهدف هو إذابة هذه الطمأنينة وإزالتها. انظر إلى حملات الإعلان التجارية التي تدخل كل بيت في مصر، إن لم يكن في الدنيا

كلها، لتقنعه أن يشرب الكوكاكولا، إذ إنها هي المشروب الوحيد في هذه الدنيا. وليس غريبًا لهذا أن تطرح الآن في أمريكا وأوروبا مقولة يسمونها من باب الطرافة أو من باب الجدة بـ «الكوكلة» على وزن الكوكبة والعولمة، أي تحويل العالم إلى دنيا واحدة، كوكب واحد، تسيطر عليه فكرة الكوكاكولا(!) بكل ما ترمز إليه هذه الشركة العملاقة المتعددة الجنسيات التي تبيع سلعة واحدة في جميع أقطار الأرض. والهدف النهائي هو أن يتحول ذوق الناس جميعًا إلى ذوق واحد، ونمط واحد، وفكر واحد، وبهذا تنهار مقولة كان يقوم عليها الاقتصاد العالمي منذ كان هناك بشر على الأرض، وهي المقولة التي كنا نتعلمها من آبائنا وأمهاتنا، وتقول ببساطة إنه: «لولا اختلاف الأذواق لبارتْ السلع»؛ إذ إن هذا الاختلاف يؤدي إلى رواج ما أحبه أنا وما تحبه أنت، ورواج ما أكرهه أنا وأنت أيضًا، فأنا أشتري ما أحب حتى ولو كنت أنت لا تحبه، والعكس يحدث مع الآخرين أيضًا. وهذه المقولة البدائية البسيطة في ظاهرها تنطوي على معان عميقة الجذور في الحقيقة. وتلك هي المعاني التي يراد هدمها، إذ إن المطلوب هو أن يكون الذوق واحدًا. فالأولاد والبنات في النادي يلبسون القمصان العصرية «تي شيرت» وقد كتب عليها «كوكاكولا فقط».. والسؤال هو: لماذا «فقط» هذه. لماذا لا يتسع العالم لمن يشربون الكوكا، ومن يشربون العصير، والشاي، والقهوة، و لمن لا يشربون شيئًا أبدًا.

وقل مثل هذا عن كل السلع الأخرى، فالنسكافيه هي وحدها القهوة، وما عداها ليس كذلك. والكرافت هي الجبن، والباقي ليس

جبنًا . . وهكذا . وهذا كله ليس أمرًا عارضًا ، بل هو نمط فكري سائد يراد به تحويل الذوق الإنساني إلى ذوق واحد في الطعام والشراب ، يتبعه تحويل هذا الذوق نفسه إلى نمط واحد في الاقتصاد والسياسة ، ثم يستتبع هذه وتلك تحويل الذوق الإنساني كله إلى ذوق واحد في الفكر والعقيدة .

● **وما هو الخطر في ذلك؟**

الخطر هو أننا لسنا صُنَّاع هذا الذوق . نحن مستوردون له . إذ إننا لسنا مبدعي حضارة فيه ، ولا أصحاب إسهام في هذه الحضارة من أي نوع ، بل نحن مقلدون ، وإذا كنا على هذا النحو فسنتحول في النهاية ـ لا قدر الله ـ إلى قطيع من القردة ، حيث نقوم فقط بتقليد ما يفعله القرد الأكبر .

تلك هي القضية الحقيقية التي تشغلني ، ويجب أن تشغل المسلمين أيضًا لأنها قضية كبرى ، يجب أن يعيشوها بما ينبغي لها من جدية وعمق . ولهذا حين قلت إن المسلمين عليهم أن يعيشوا في العصر ، وليس خارج العصر ، إنما كنت أقصد هذه القضية بالتحديد . إنها قضية السيطرة أو الهيمنة التي تُفْرَضُ علينا الآن . وأخطر ما فيها أنها لا تفرض بقرار يصنعه السياسيون ، ولا بمحالفة أو معاهدة أو حرب عسكرية تحتلنا وتجبرنا على قبولها . إنها هيمنة لا تأتي من أعلى بل من أسفل . إذ إن الذي يفرضها علينا هو ابني وابنك وابن العامل وابن الموظف المدني وابن الضابط وابن الوزير وسائر الشباب من أبنائنا وفتياتنا . يجب أن نشرب جميعًا (الكوكاكولا) ولا شيء غيرها ، ويجب أن نأكل (الهمبرجر) ،

ونلبس (الجينز)، ونستعمل المقاهي الأجنبية. . .[٢] ليتم هذا التنميط الكامل، ونتحول فعلاً لا مجازًا إلى قطيع من القردة.

لهذا قلت وأقول إن خوفي عظيم من انشغال معظم الإسلاميين، ولا أقول كلهم، بقضايا لا تسمن ولا تغني من جوع.

إنني أنظر في القضايا التي يناقشها ويفكر فيها ويعمل عليها هؤلاء الإسلاميون، فأجد أنها قضايا ذات تحقيق تاريخي رائع، وأنا أستمتع بها جدًا حين أقرؤها. وأجد قضايا أخرى محققة تحقيقًا فقهيًا جميلاً، لكن هذا التحقيق مبذول على مدى القرون الإسلامية كلها، ولم يتوقف، ولم يتعطل قط. ولهذا يبقى السؤال الأهم: أين قضايا العصر؟ أين نحن من قضية الهيمنة الغربية ومواجهة السيطرة الأوروبية والأمريكية والإسرائيلية أيضًا؟ والسيطرة الإسرائيلية يراها بعض الناس ذيلاً على السيطرة الأمريكية والأوروبية ويراها آخرون محركًا لهما، وفي الحالين نرى تلك القضايا كلها خارج التفكير الإسلامي، أو هي بعيدة عنه، وهذا خطر شديد ينبغي أن نتنبه له، وندعو إلى مواجهته لندخل فعلاً معركة الحياة.

• إذا كان المسلمون يعيشون في ظل هذه الهيمنة أو السيطرة، فكيف يقول الغرب إذن إن الإسلام خطر عليه؟

هناك رأيان في هذه القضية. فثمة رأي وجيه يرى أن الإسلام فعلاً

(٢) وقد كان ما خفناه، منذ عشر سنين، أن يكون. ولا حول ولا قوة إلا بالله (!) أصبح الناس - في جملتهم - يتعاملون مع هذه المستوردات وكأنها جزء من مكونات الحياة التي لا غنى عنها؛ وهي في حقيقتها زوائد لا قيمة لها إلا تأكيد تبعيتنا للغرب وسيطرته علينا.

خطر على الغرب، وهناك أسباب وحيثيات لهذا الخوف. وهناك رأي آخر يرى أن المسلمين مجرد كم عددي مهمل لأنهم يعانون من التخلف والجهل والفقر، ولهذا لا يمكن أن يُمَثِّلوا بدينهم خطراً على الحضارة الغربية.. وظني أن الرأيين صحيحان.

● فماذا عن الرأي الأول الذي يرى في الإسلام خطراً على الغرب؟

إن هذا الغرب الذي نراه الآن يجسد الحضارة المادية في أرفع صورها. وهذه الحضارة بقيمها وسلوكها، التى تمثلها وتتحدث باسمها النخب المفكرة والمثقفة، تنكر ـ على وجه الإجمال ـ أيَّ دين، فالمعيار في هذه الحضارة هو الدولار والإسترليني والمارك والين. إنها حضارة الدرهم والدينار التي تنكر أي دور للدين في الحياة. والعجيب أن هذا الإنكار الذي تمارسه، وتجهر به، غالبية النخب الثقافية والسياسية يتصادم مع حقيقة تدين الشعوب فى مجملها، ولاسيما شعب الولايات المتحدة الأمريكية؛ بل وتدِّين الإدارة الأمريكية منذ عقود عديدة؛ خذ مثلاً إدارات جيمى كارتر ورونالد ريجان وبوش الأب وبوش الابن... فكلها إدارات شديدة التدين بل شديدة التعصب. وهذا هو سر موقفها الذي لم يتغير بتغير الحزب والرئيس من دعم الكيان الصهيونى[٣].

(٣) باعت سلسلة من الكتب عن معركة هرمجدون المشار إليها في سفر الرؤية من العهد القديم، ٦٣ مليون نسخة، بلغ ثمنها نحو ٩٥٠ مليون دولار (أي نحو ٥,٥ مليار جنيه مصري!). وفي الموسوعة البريطانية، الكتاب السنوي ٢٠٠٦، ص٢٤٦، أن الشعب الأمريكي قرأ كتبا دينية (٩٠٪ منها مسيحية) قيمتها نحو ملياري دولار (أي نحو ١١ مليار جنيه مصري!! وراجع مقدمة المهندس عادل المعلِّم لكتاب (بلد الله) لوالتر راسيل ميد، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦ ص١١.

ومثل هذه الحضارة، بهذه المنطلقات الفكرية، لا يمكن أن ترتاح لا إلى الإسلام ولا إلى المسيحية. فالإسلام لله، بمعنى التدين العام الذي يستوي فيه أهل الأديان جميعًا، وإن اختلفوا في الشعائر.. هذا التدين خطر جدًا على الغرب. فليس الدين الإسلامي بمعناه الفني أو العلمي أو الكلاسيكي هو الخطر، بل إن التدين والدين بمفهومه العام هو الخطر الحقيقي.. والإسلام يدخل في هذا الإطار بالطبع. وذلك هو الشق الصادق من مقولة إن الإسلام خطر على الغرب. فالتدين الذي يجعل الإنسان يقيم الاعتبار الأول لعقيدته، ويقيم الاعتبار الثاني لشريعته، ويقيم الاعتبار الثالث لكرامته وحريته، ثم يقيم الاعتبار الرابع والأخير للماديات.. هذا التدين خطر على الغرب الذي يجعل المادة أولاً، وثانيًا، وثالثًا، ويجعل العقيدة كلها والشريعة بجميع أجزائها، والكرامة بكل مكوناتها، أمورًا شخصية يمارسها الفرد في بيته أو في سيارته، ولكنها لا تتصل بالمجتمع نفسه من قريب أو بعيد. ففي هذا المجتمع المادي تتحدد قيمتك بما تملكه، فلكل إنسان هناك ثمن. ونحن لا نقصد بـ «هناك» هذه البعد المكاني، بل نقصد بها البعد الفكري والحضاري، لأن في بلادنا أيضًا من يفكرون بهذه الطريقة، وبأن كل إنسان يساوي ما معه، وهي مقولة مستوردة كذلك من الغرب. وبهذه المعاني كلها يصبح الدين بشكله المطلق، وبقيمه العليا، خطرًا حقيقيًا على الغرب. سواء كان هذا الدين هو الإسلام أم غيره.

وجه خطورة الدين على هذا الفكر المادي البحت أنه نقيضه وضده، وهو الوحيد القادر على هدمه بجمع الناس حول القيم الأخلاقية

والروحية والإنسانية، وتفريقهم من حول القيمة المادية التي يسيطر الفكر (العولمي) بها عليهم. من هذا الوجه يَصْدُقونَ إذا قالوا إن الدين، بوجه عام، والإسلام بوجه خاص خطر على الغرب.

• ماذا إذن عن الرأي الثاني الذي لا يرى في الإسلام خطرًا على الحضارة الغربية باعتباره كمًّا مهملاً، متخلفًا وفقيرًا؟

الإسلام بادئ ذي بدء ليس كمًّا مهملاً، فثمة مليار ونصف المليار مسلم في عالم اليوم، وهؤلاء يشكلون أكبر قوة عقدية في هذا الكوكب. نعم.. نحن نعترف أن الإسلام فقير، والمسلمين متخلفون، وثمة فجوة حضارية بيننا وبين الغرب، ولكن هذه الأمور كلها لا ديمومة لها، فلا الفقر دام، ولا الغنى دام، بل إن الفجوة الحضارية نفسها لم تدم بيننا وبين هذا الغرب، فلقد كنا نسبق أوروبا بأكثر من ستمائة سنة حضارة، فلما قامت النهضة الصناعية لحقوا بنا وتفوقوا علينا، وسوف يأتي يوم نلحق بهم فيه، وقد نتفوق عليهم. وليس أدل على هذا مما يحدث الآن في جنوب شرق آسيا، فلقد كانت هذه «النمور الآسيوية»(٤) إلى وقت قريب أكثر تخلفًا منا وأكثر فقرًا، وهم الآن، وبرغم وثنية الغالبية العظمى منهم، لحقوا بهذا الغرب، بل إن هناك من سبقوه في معيار التقدم العلمي والإنتاج. ومعنى هذا أن الفجوة الحضارية والاقتصادية لا تخيفني، لأنه من الممكن طي مراحل التطور بأسرع مما

(٤) التسمية التي أطلقها الإعلام الغربي منذ أواخر الثمانينيات من القرن العشرين الميلادي على دول جنوب شرق آسيا الناهضة آنذاك صناعيًا. وقد تغير الموقف الاقتصادي لبعض هذه الدول نتيجة عوامل عديدة لا مجال هنا للإفاضة في بيانها. لكن النهضة الصناعية والعلمية هناك قد قامت فعلاً.

يتصور أحد. ومعناه أيضًا أن المسلمين ليسوا كمًا مهملاً كما يقول بعضهم هناك.

إن الإسلام ليس خطرًا على الغرب. هذه الحقيقة تكمن في طبيعة هذا الدين نفسه. فالإسلام ليس دينًا صداميًا ولا هجوميًا، بل هو دين دفاعي. فهو دين يقول قرآنه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]. ثم لم يقل لكي تقتلوهم بها، أو تدمروهم بها، أو تذبحوهم بها، بل قال: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾. وكلمة «الإرهاب» هذه التي تدوخ الدنيا هذه الأيام، ويطاف بها على الوديان والجبال، وعلى الشواطئ والسهول، ليذل بها الإسلاميون هي شرف للإسلام!!

● **كيف؟**

لأن الإسلام بنص الآية في سورة الأنفال من القرآن الكريم لا يريد قتل أعدائه أو التخلص منهم، وإنما يريد كف عدوانهم بمجرد إرهابهم أو تخويفهم فحسب. فهل رأيت خائفًا يهاجم المَخُوف. إن الخائف لا يهاجم من يخيفه، ولهذا فالإسلام حين يأمرنا بإرهاب العدو، إنما يأمرنا في الحقيقة بمنع الصراع في الأرض، إنما يأمرنا بمنع التطاحن والتقاتل؛ فالإسلام من هذه الزاوية ليس خطرًا بأي معنى، لأنه ليس دينًا صداميًا بل هو دين سلام من أول لحظة في حياة المسلم إلى آخر لحظة. إن تحية المسلم وتحية الإسلام: «السلام»؛ والله تبارك وتعالى من أسمائه القرآنية: «السلام»؛ وتحية أهل الجنة فيها: «سلام». ولكن عندما،

يُعتدى على المسلمين أو دينهم فلا محل للسلام، ولا للمسالمة، وإنما يكون المحل الوحيد هو رد العدوان.

إن أقصى أمر في القرآن ـ في هذا الشأن ـ هو هذا الأمر الوارد في الآية الكريمة باتخاذ الأهبة والعدة فقط. ولو نظرنا بعد هذا في آيات أخرى حين يتحدث القرآن مثلاً عن قتال المشركين.. فماذا يقول: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]. والآية صريحة وواضحة، فالقتال هنا هو رد فعل، وليس فعلاً. والكاف هي كاف التشبيه، أي أن الله يشبه فعل المسلمين بالأصل وهو فعل الكفار، فالمشبه به هو عمل الكافرين هذا.

ومعنى هذا كله أن الإسلام كما قلنا ليس دينًا صداميًا، ولهذا فهو ليس خطرًا على أحد، لا على الغرب، ولا على غيره. إن الإسلام دين يعلي إعلاء تامًا من شأن حرية الفرد، وحرية الدولة، وحرية الجماعة، ولكنه يطلب منك أن تسمح له بالدعوة إلى هذا الدين الحق، فإذا حيل بينه وبين هذه الدعوة، فإنه لا يقاتلك ولا يصادمك، ولا يناصبك العداء، بل يتركك وشأنك، ويذهب إلى مكان آخر. وقد كان هذا هو شأن المسلمين على مدى التاريخ.

والخلاصة أن القرآن الكريم يأمرنا بهذين الأمرين: أمر بإعداد العدة لتخويف الغير، فلا يصادمنا. وأمَرَنا بالمقاتلة إذا بَدَأنا غيرُنا بالقتال. فإذا لم يقاتلني فلن أقاتله، ولو أن المشركين كافة لم يقاتلوا محمدًا ﷺ، ما قاتلهم، ولم يكن للقرآن أن يأمره بالقتال دون أن يقاتلوه.

بهذا المعنى فالإسلام ليس خطراً على الغرب، أما الصيحات التي أطلقها نيكسون، وأطلقتها تاتشر[٥]، وأطلقها وزير خارجية إيطاليا، ووزير داخلية فرنسا وغيرهم في أوقات متفاوتة من أن الخطر القادم هو الإسلام، فإنها صيحات تصدر عن واحد من اثنين. فإما أنها تصدر عن شخص لا يعرف طبيعة الإسلام ولا يدرك حقيقته، وإما أنها تصدر عن شخص يحاول أن يبقي على الرباط الذي يجمع الناس في وطنه، وقد كان هذا الرباط في فترة ما هو معاداة الاتحاد السوفيتي، أما وقد انهار هذا الاتحاد، فلابد إذن من خطر آخر يجمع الناس. فهي إما صيحة نفعية محضة، وإما صيحة نابعة من عدم العلم بالإسلام، فإذا كانت الأولى فلا حيلة لنا فيها، لأننا كلما أثبتنا خطأها وبطلانها فسوف يأتون بصيحة أخرى، لأنهم في ذلك بصدد دفاع عن المصالح، وليسوا بصدد دفاع عن رأي أو عن فكر. أما إذا كانت الثانية، أي كان السبب هو الجهل بحقيقة الإسلام وطبيعة أحكامه، فإن عملنا لن يكون مع هؤلاء القادة الذين

---

(٥) نيكسون هو الرئيس الأمريكي الشهير ليندون نيكسون الذي استقال بعد فضيحة التجسس على المعارضين السياسيين المعروفة بفضيحة (ووترجيت). وتاتشر هي مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا (من حزب المحافظين) التي خاضت ببلادها حرب فوكلاند، واشتهرت بأنها (المرأة الحديدية). وهذه الصيحات لا تزال مستمرة. بل هي في تزايد كيفًا وكمًا منذ أحداث ١١/٩/٢٠٠١م في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد أصبحت تجد تأييداً منقطع النظير من اليمين المسيحي/ الصهيوني المتطرف. وتحول القول إلى عمل بغزو أفغانستان والعراق واحتلالهما، وبغزو الصومال بيد أثيوبية ودعم وحصار بري وبحري أمريكي، وبالتهديد الصهيوني لكل البلاد العربية الذي بلغ ذروته بالحرب على لبنان في يوليو ٢٠٠٦م؛ ثم بالتهديد الذي أصاب مصر والمملكة العربية السعودية معًا فمنعهما من بناء جسر بري بحري بينهما في مايو ٢٠٠٧م (!!) وبالتهديد المستمر لإيران بسبب مشروعها النووي، وللسودان في محاولة السيطرة التامة على ثرواته الطبيعية الهائلة... إلخ.

أطلقوها، ولا خلفائهم الذين سيكررونها، وإنما مع الشعوب نفسها: مع المجتمعات الأوروبية والأمريكية، ومجتمعات الكتلة السوفيتية السابقة وشعوب شرق آسيا لكي نبين لهم حقيقة الإسلام كما شرحنا جزءاً منها هنا في السطور السابقة.

إن الشعوب في هذه البلاد شعوب حرة لأنها تعيش ديمقراطية حقيقية، وتستطيع أن تصوت فعلاً لمن تريد، فينجح، وتستطيع أن تسقط من تريد فلا يصل إلى مقاعد الحكم. ويستطيع المفكرون والدعاة الإسلاميون أن يتجهوا إلى هذه الشعوب الواعية، لإيصال الرؤية الصحيحة للإسلام، وشرح خطأ مقولات هؤلاء القادة من أن الإسلام هو العدو القادم ويجب أن نناصر إسرائيل لتقضي معنا على هذا العدو.

إذا ما فهمت الشعوب الحقيقة، فهي لن تستجيب لهذه الصيحات والدعوات التي يقول بها هؤلاء القادة. لحظتها سوف يقول الناخبون إن ما يدعيه هؤلاء ليس صحيحًا لأننا نعرف ما هو الإسلام. إنه ليس كما يتقول عليه أعداؤه، وهنا لن ينجح من يقول بهذا في الانتخابات، لأنه سوف يبدو مدلسًا على الناس، ويكفي أن يحدث هذا مرة واحدة حتى يتعظ الآخرون.

إن سلاح الكلمة والفكر وتبيان الحقيقة الناصعة للإسلام هو أمضى سلاح في مواجهة هؤلاء السياسيين والحكام. لأن هذا السياسي إذ عرف أنه سوف يسقط في الانتخابات، إن أساء بغير حق إلى دين كالإسلام، فسوف يحترم إرادة ناخبيه، ولن يجرؤ على الإساءة أبدًا.

***